«الأمناء» تنشر دراسة بحثية عن الواقع الراهن ومتطلبات الخروج منه (الحلقة الأولى)

الحرب في حقيقتها بين طرفين أساسيين هما الجنوب والشمال

تعزيز تواجد ونفوذ إيران بالشمال يُمثل خطراً محدقاً لدول الخليج

«الأمناء» قسم التقارير:

تنشر «الأمناء» في عدد من الحلقات، وبتصرف من المحرر، ما جاء في دراسة بحثية للدكتور سعودي علي عبيد صالح، أستاذ مساعد في جامعة عدن، والمعنونة بـ «عن الواقع الراهن.. ومتطلبات الخروج منه».

مقدمة

إذا تذكرنا أن الواقع الراهن، الذي نحن بصدد الحديث عنه ومن ثم تشخيصه، هو واقع نتج بسبب الحرب التي نشبت في مارس 2015م، التي لم تضع أوزارها حتى اللحظة. كما أن هذه الحرب كانت لها أسبابها وذرائعها. ومن أجل اكتمال الصورة، فإن من المؤكد بأن لهذه الحرب أطرافها وقواها، ومن ثم مصالحها وأهدافها.

وقبل الخوض في تشخيص الواقع الراهن، يمكن القول إن هذا الواقع ليس سوى نتاج لمجموعة من الأسباب ذات سمات خاصة، وهي كما يلي:

1.حربٍ بدأت رغماً عن الجميع، وهي لم تنتهي بعد رغماً عن الجميع كذلك.

2.حرب أسبابها غير محددة عند البعض، وغير معروفة عن البعض الآخر، وأسبابها مخفية لدى البعض الثالث.

3.حرب تبدو كأنها بين أطراف متعددة، ولكنها في الحقيقة بين طرفين أساسيين هما: «الجنوب والشمال».

4.حرب تعددت أهدافها، وكان ذلك بسبب تعدد أسبابها، وكذا تعدد الأطراف المشاركة فيها.

أهم ملامح الواقع

من المؤكد أن الحرب التي نشبت في أواخر مارس 2015م على الساحة اليمنية، والتي لم تنتهي حتى هذه اللحظة، قد أفرزت واقعاً اتسم بالملامح الآتية:

أولا: حرب لم تنتهي بعد: بخروج الرئيس عبدربه منصور هادي من صنعاء، بغض النظر عن طريقة ذلك الخروج، ووصوله إلى العاصمة عدن، يكون الملعب السياسي قد صار لصالح (الحوثيين) وحلفائهم. وهذه النتيجة تمثل فرصة مفيدة لصالح إيران، لتعزيز وجودها وتقوية نفوذها باعتبارها حليفاً استراتيجياً للحوثي.

ومثل هذه النتيجة إذا ما تحققت، ستمثل خطراً محدقاً بدول الخليج بشكل عام، والسعودية على وجه الخصوص. إذ إنها ستقع بين كماشتين: إيران والعراق من الشمال، والجمهورية اليمنية وحليفتها إيران من الجنوب. ومن المؤكد بأن مثل هكذا نتيجة، ستسبب ضرراً وجودياً على المملكة السعودية. أي أن الضرر لن يقتصر على أمنها القومي فقط، بل سيتعدى ذلك ليمس وجودها. هذا إذا تذكرنا أن المنطقة الشرقية والجنوبية من المملكة، يدينون بالمذهبين الشيعي والزيدي. وهما توأمان.

ومشكلة الحوثيين وحلفائهم، أنهم لم يكتفوا بالمنطقة التي كانت تشكل الجمهورية العربية اليمنية، بل عملوا على تعزيز تواجدهم في مناطق الجنوب، وهو ما حقق نتيجتين: الأولى استنهاض وتوحيد الجنوبيين ضد الحوثيين وحلفائهم تحت شعارات وأهداف متعددة: وطنية جنوبية، ودينية، ومذهبية وغيرها. أما النتيجة الأخرى، فإن هذا التمدد للحوثيين وحلفائهم في الجنوب، قد عزز من شعور السعودية بالخطر الإيراني في حالة بقاء الجنوب في يد الحوثيين وحلفائهم.

وبغض النظر عن التفاصيل الكثيرة عن هذه الحرب، إلا أنه من الممكن تشخيصها على النحو التالي:

1.يمكننا القول إن هذه الحرب، قد قامت في منطقتين، وعلى مرحلتين. المنطقة الأولى تقع في أغلب أراضي الجنوب. وأما فترتها الزمنية فقد بدأت من أواخر مارس 2015 حتى يوليو من العام نفسه تقريباً. ويمكن أن نسجِّل بأن أول منطقة جنوبية تخلصت من التواجد الشمالي، كانت منطقة جبل العُر في يافع، ثم تبعتها الضالع. وقد تحررتا بدون أي دعم من قوات التحالف العربي تقريباً. ثم تبعتهما بقية المناطق وخاصة عدن، التي استكمل تحريرها في (يوليو2015)، وهكذا دواليك. ولم تبقى سوى منطقة مكيراس من نواحي أبين. وهي محاذية لمنطقة البيضاء الشمالية، وقد ضمتْ إليها إدارياً، وهذا من نتائج وحدة 22مايو1990م. كما لم تتحرر منطقة بيحان. ويمكن تفسير ذلك باعتبار أن بيحان توجد فيها بيئة حاضنة للشماليين، بينما واقع مكيراس يعود إلى انعزال مكيراس عن مناطق الجنوب، بسبب وجود حاجز طبيعي هو «عقبة ثرة»، هذا إذا تجاوزنا النقد الموجه إلى قوات التحالف القائل بخذلان «التحالف العربي» للمقاومة في هاتين المنطقتين المذكورتين.

أما المنطقة الأخرى، فهي مناطق الجمهورية العربية اليمنية. وقد بدأت المعارك فيها بالتزامن مع المعارك في مناطق الجنوب، ولكنها لم تنتهي حتى هذه اللحظة.

2. يمكننا القول أيضاً، بأن هذه الحرب قد اتسمت بأنها حرب شاملة، ليست فقط من ناحية ساحات القتال، ولكن أيضاً من ناحية استخدام مختلف الأسلحة: الجوية والبرية والبحرية. فقد استخدمت في هذه الحرب كل أنواع الطائرات الحربية والمركبات البرية المختلفة؛ من دبابات ومدرعات. كما اشتركت البارجات البحرية بفعالية في دك المواقع العسكرية للعدو، أو الحصار البحري.

3. ينظر إلى هذه الحرب بأنها تجري بين ما يطلق عليه بتحالف الانقلابيين (الحوثيين وصالح) من جهة، والحكومة الشرعية والتحالف العربي من جهة أخرى. كما ينظر إليها أيضا بأنها تجري بين مليشيات تحالف الحوثيين وصالح من جهة، والجيش الوطني التابع لحكومة الشرعية التي يساندها التحالف العربي من جهة أخرى.

وعند التمعن الدقيق بمجريات الحرب منذ نشوبها وحتى اللحظة الراهنة، سنكتشف بأن التوصيف المذكور سابقاً ليس دقيقاً، إن لم يكن كاذباً وخادعاً تماماً. أما في حقيقة الأمر، فإن هذه الحرب هي في الأساس بين الجنوبيين بمختلف مكوناتهم السياسية والاجتماعية، الذين هبوا للدفاع عن أرضهم، يساندهم التحالف العربي من الجو والبحر. هذا من جهة. أما في الجهة الأخرى فتوجد كل القطاعات العسكرية من الجيش والحرس الجمهوري والأمن المركزي، وجميعها بقيادة تحالف الحوثيين وصالح. أما الحرب ذاتها، فإنها تدور حول الجنوب ومصيره.

وإذا كان ذلك مقبولاً ومفهوماً وواضحاً فيما يخص تلك المعارك، التي دارت على أراضي الجنوب، فإن حشد وتعبئة الجنوبيين في المعارك الراهنة التي يقودها التحالف العربي بقيادة السعودية والإمارات، والتي تدور حالياً داخل مناطق الجمهورية العربية اليمنية ليس مقبولاً من غالبية الجنوبيين. والأسوأ من ذلك كله، القول بأن من يخوض القتال في هذه الأماكن، ليس هم الجنوبيين، بل هو الجيش الوطني التابع للشرعية. وهذا القول يساوي تماماً القول بأن الجيش الوطني يقاتل نفسه. وذلك باعتبار أن تحالف الحوثيين وصالح يقاتل أساساً بجيش دولة الجمهورية اليمنية، الذي يُطلق عليه حالياً الجيش الوطني.

4. في أوقات المعارك الحربية، من المنطقي القبول بتعطل المؤسسات وكل ما له علاقة بها، بل وتتأثر دورة الحياة الاقتصادية بكاملها. إلا أن ذلك يبدو غريباً بعد أن تضع الحرب أوزارها. وهذه الظاهرة هي التي نشاهدها في الجنوب حتى بعد أن انتهت الحرب، وصار الجنوب في معظمه محرراً أو خالياً من الوجود الشمالي. فكثير من المؤسسات الجنوبية لم يعاد بناؤها أو تشغيلها. والحياة الاقتصادية لم يعد إحياؤها.

ثانيا: لا غالب ولا مغلوب: إن الغلبة والانتصار في أية حرب تتجلى من خلال مظهرين: الأول في ساحة القتال، والآخر في ساحة السياسة، وذلك من خلال تغلُّب وانتصار طرف في المعارك العسكرية، واندحار وهزيمة الطرف الآخر. أما في السياسة، فإن ذلك يتجلى في فرض الطرف الأول شروطه على الطرف الآخر.

وفيما يخص هذه الحرب، فإن قاعدة «لا غالب ولا مغلوب»، هي القاعدة السائدة حتى الآن على الأقل. ويمكن إثبات ذلك وفق الاعتبارات الخاصة بالأهداف الرئيسية لكل طرف في هذه الحرب.

1.بالنسبة للجنوب، وإذا افترضنا أنه انتصر في الجبهة العسكرية، وحقق أهدافه فيها بنسبة عالية، وذلك من خلال طرد القوات الشمالية من معظم مناطق الجنوب، فإن انتصار الجنوب في الجانب السياسي لم يتحقق. فالهدف السياسي الأساسي للجنوب المتمثل في استعادة دولته، لم يتحقق حتى اللحظة.

2.وبالنسبة لشرعية عبدربه منصور هادي، فإن أهم أهدافه العسكرية لم تتحقق بالمطلق. فالطرف الآخر الموصوف بالانقلابيين أو بتحالف الحوثيين وصالح، ما زال يقاتل ويقاوم، بل ويهاجم أراضي المملكة العربية السعودية بصواريخ بالستية.

وإذا تذكرنا أن السبب الرئيسي، أو الذريعة الأساسية التي قامت الحرب من أجلها، كانت هي استيلاء تحالف الانقلابيين (الحوثيين وصالح) على السلطة، بعد وضع الرئيس هادي رهن الاحتجاز والإقامة الجبرية، وما تبع ذلك من أحداث، فإن الهدف السياسي الأساسي للحرب كانت إعادة شرعية الرئيس هادي إلى ما كانت عليها قبل حدوث انقلاب 21 سبتمبر 2014م الذي قاده الحوثيون، وهو مالم يتحقق كذلك.

3.وبغض النظر عن مصداقية وواقعية هدف إعادة شرعية هادي، الذي تبناه التحالف العربي في هذه الحرب من عدمه، فإن المؤكد بأن هناك هدفاً أو حتى عدة أهداف غير معلنة، كانت هي خلف تدخل التحالف العربي، وخاصة السعودية والإمارات.

وفي هذا السياق، يمكننا ذكر هدفين أساسيين من تلك الأهداف غير المعلنة وهما: تحطيم الآلة العسكرية لتحالف الحوثيين وصالح بشكل كامل. وهو ما يهدف بدرجة أساسية إلى تأمين الحدود المترامية الأطراف بين السعودية و«الجمهورية اليمنية». أما الهدف الآخر فهو القضاء نهائياً على أي تهديد إيراني للمملكة السعودية، يأتيها من حدودها الجنوبية.

4.أما بالنسبة للطرف الآخر في هذه الحرب (تحالف الحوثيين وصالح)، فإن حالهم ووضعهم أسوأ كثيراً من حال تحالف الطرف الأول المذكورين سابقاً. فهم قد خسروا الجنوب بشكل نهائي تقريباً، كما إن آلتهم العسكرية من معدات وبشر، قد تناقصت إلى مستويات متدنية جداً. ومشروعهم السياسي قد انهزم، ومناطق الشمال قد تكون معرضة للتقسيم، وما زالت الحرب قائمة ومستمرة على مناطق هذا الطرف حتى اللحظة. وبشكل عام، فإن كلٍ من الحوثيين وصالح قد خسروا الحرب، أكانا مجتمعين أو منفردين فيما يخص مشروعهما وأهدافهما السياسية.

وقولنا بأنه لا يوجد في هذه الحرب، حتى الآن على أقل تقدير، لا غالب ولا مغلوب، يستند على الآتي:

1.اعتماداً على استمرارية الحرب حتى اللحظة.

2.اعتماداً على عدم تحقيق كل طرف لأهدافه العسكرية كاملة.

3.اعتماداً على عدم وصول كل طرف لهدفه أو أهدافه السياسية، التي رسمها مسبقاً عند قيام هذه الحرب.